المبحث الأول

رؤيا الراعي هرماس

(The Shepherd of Hermas)

رؤيا الراعي هرماس أو كتاب الراعي هرماس هو الأوسع "انتشارا مما وصل إلينا من كتب الآباء الرسوليين، والكتاب ينتمي في مادته إلى أسلوب الرؤيا، وقد احتل مكانة مرموقة في القرون الأولى المسيحية، وارتقى عند بعض الآباء أمثال إيرينيئوس وترتليانوس وإكليمنضس الإسكندري وأوريجانوس إلى مستوى كرامة الأسفار "الإلهية"[1]...، وينقل إلينا هذا الكتاب إيحاءات تلقاها هرماس في روما من شخصين سماويين؛ الأول امرأة تبدو مرة متقدمة في السن ومرة أخرى فتاة، والثاني ملاك يظهر بهيئة راع وقد دعي الكتاب كله باسم هذا الراعي"[2].

وقد ذكر يوسابيوس في تاريخ الكنيسة هذه الرؤيا كسفر متنازع عليه ولا يمكن وضعه ضمن الأسفار المعترف بها، مع أن البعض يعتبرونه لا غنى عنه سيما عند من يريدون تعلم مبادئ الإيمان، كما أشار إلى أن هذه الرؤيا كانت تقرأ في الكنائس وأنه اقتُبس منها من طرف بعض أقدم الكتاب.[3]

وفي موضع آخر ذكر هذه الرؤيا كسفر مرفوض تماما بقوله: "وضمن الأسفار المرفوضة يجب أن نعتبر أيضا أعمال بولس وما يسمى بسفر الراعي"[4].

---

(1)-" قبل انعقاد مجمع نيقية كان هذا الكتاب (رؤيا الراعي) معترفا به وكان يستعمله أتباع المسيح الأوائل وكانوا ينظرون إلى هرماس كنبي وحتى نهاية القرن الثاني بعد الميلاد تم الاعتراف به كجزء من العهد الجديد من جانب أوريجانوس الإسكندري (185 254 م) والذي اعترف به ككتاب مقدس ووضعه في آخر الكتب المقدسة التي كانت مستعملة في منتصف القرن الرابع بعد الميلاد. واعترف به تيرتوليان (160-220 م) في أول الأمر ولكنه أنكر اعترافه به عندما أصبح من طائفة المونتيين. واعترف به إيرانيس (130 200 م) ككتاب مقدس ورفضه إيزيبيس من قيصرية، ولكن اعترف به أثناسيوس عام 367 م ككتاب للإطلاع الخاص بالنسبة للمرتدين الجدد، وهناك مسيحي فارسي يدعى مانيكيوس أخذه معه في رحلته إلى الشرق ولقد أثر هذا الكتاب في كتابات دانتي بصورة واضحة". (أنظر: محمد عطا الرحيم، عيسى المسيح والتوحيد، عرض تاريخي للمسيحية والأناجيل والموحدين المسيحيين الأوائل والأواخر، ترجمة عادل حامد محمد، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، مصر، ص: 47-48.

(2) الديداخي أي تعليم الرسل، راهب من الكنيسة القبطية، مكتبة المنار، القاهرة، سلسلة مصادر طقوس الكنيسة، العدد 1، الطبعة الأولى، 2000، ص: 57.

(3) يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ص: 97.

(4) نفسه، ص: 127.

وجاء في كودكس كلاروموننتانيس Codex Claromontanus [1] أن رؤيا "الراعي" كانت تتكون في الأصل من 4000 سطرا[2] إلا أن هذه الرؤيا "وصلت إلينا بنصها اليوناني في ثلاث مخطوطات غير كاملة، بالإضافة إلى ما يقارب 16 مقطعا صغيرا اكتشفت حديثا على ورق البردي، في مخطوطة تكاد تكون كاملة من دير في جبل آثوس تنقصها الخاتمة (الأمثال:9/3-30)، ومخطوطة المجموعة السينائية التي لا تحتوي إلا على الربع الأول حتى الوصية 4/3- 6، والمخطوطة 129 من جامعة ميشيغان (نهاية القرن الثالث) التي لا تحتوي إلا على الأمثال (8/2 و 5/9) في حالة جيدة مع نواقص تؤلف ما يقارب ربع المؤلف. وفي ما عدا ذلك نجد راعي هرماس في نسختين قديمتين باللاتينية هما الشعبية من القرن الثاني واللاتينية من القرن الرابع، وفي ترجمة أثيوبية، ونجد كذلك بعض المقاطع في نسخة بالقبطية ونسخة بالفارسية"[3].

---

(1) كودكس كلاروموننتانيس يرجع إلى القرن السادس، جرى اقتناؤه من دير Clermont من طرف Théodore de Béze وهو الآن بالمكتبة الوطنية، ولغته مزدوجة، ويتضمن رسائل بولس، منها الرسالة إلى العبرانيين مع بعض الفقرات اليسيرة، كما أشار إلى أغلب الأعمال الأبوكريفية والقانونية.(ينظر: يوسف الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص، 124).

(2) New Testament Apocrypha (Volume One : Gospels And Related Writings) ; P: 37.

(3) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص: 79. أما عن طبعات "الراعي" فقد طبع أولا في باريس عام 1513عن ترجمة لاتينية يرجح أنها من القرن الثاني، وفي عام 1857 طبعت عن مخطوطة من القرن الرابع عشر ترجمة لاتينية ثانية تستند على الأرجح على الترجمة الأولى ويغلب الظن أنها من القرن الرابع أو الخامس. أما المخطوطة اليونانية للراعي فإن أول من وجدها هو قسطنطين سيمونيدس عام 1855 في دير القديس غريغوريوس في جبل آثوس وهذه المخطوطة المنسوخة بخط كثيف هي من القرن الرابع عشر، تتألف من عشر ورقاتوالورقة الأخيرة منها مفقودة، انتزع سيمونيدس من ورقات المخطوطة الخامسة والسادسة والتاسعة ونقل الورقات الباقية باعتناء ولم يسم الدير الذي وجدت فيه، ثم باع الورقات الثلاث الأصلية مع الورقات المنقولة إلى مكتبة ليبزيغ وهكذا عرفت التسعة أعشار من المخطوطة اليونانية للراعي وقد نشره Anger and Dindorf في ليبزيغ سنة 1856، وفي عام 1859 نشر هذا الأخير في لندن بحثا بعنوان: القليل من الكثير عن الأب الرسولي هرماس ونشر في آخر البحث صورة عن مخطوطتين قديمتين من عمله مستندا إلى الترجمة اللاتينية. وفي عام 1880 صادف أن كان لامبروس في دير القديس غريغوريوس فدرس مخطوطة هرماس ونقل الورقات الست الباقية ونشرها عام 1888 في كمبردج. وقد عثر على الربع من الراعي في المخطوطة السينائية للكتاب المقدس التي عثر عليها Tischendorf عام 1859 وطبعت في ليبزيغ عام 1893، وفي عام 1927 نشر بردي يعود إلى سنة 200 م يحتوي على قسم صغير من كتاب الراعي في مجموعة جامعة ميشيغان وقد حفظ الكتاب المسيحيون بعض المقاطع من كتاب "الراعي" كما يوجد ترجمة قبطية وحبشية وفارسية للراعي أما خاتمته فمعروفة من ترجمة لاتينية. (أنظر: الآباء الرسوليون، ص: 171-173.)

أما عن تاريخ كتابة رؤيا الراعي فهناك احتمالين يصعب الترجيح بينهما؛ الأول يعتمد على ما جاء في قانون موراتوري حيث ورد فيه: "كتب هرماس "الراعي" منذ وقت حديث جدا في عصرنا في مدينة روما، عندما كان أخوه بيوس Pius الأسقف يشغل كرسي الأسقفية في روما"[1]، وبيوس هذا كان يشغل الأسقفية ما بين سنتي 140 و 155 م[2] ومن المرجح أن يكون الراعي قد كتب في سنة 148 م[3].

أما الاحتمال الثاني فهو الذي يعتمد على ما جاء في "رؤيا الراعي" نفسها حيث ورد في الرؤيا الثانية ما يلي: "أكتب كتيبين؛ كتيب إلى أقليمس (أو اكليمنضس) وكتيب إلى غرابتي Grapté، ويسمح لإقليمس أن يرسل ذلك إلى المدن التي في الخارج، وعلى غرابتي أن تنصح الأرامل والفقراء أما أنت فعليك أن تقرأ ذلك في هذه المدينة على الشيوخ ومتقدمي الكنيسة"[4]، فإكليمنضس المذكور في هذه الرؤيا قد يكون هو اكليمنضس أسقف روما (92-101) ومن المرجح أن يكون الكتاب دون بين هذين التاريخين[5]، إلا أن الاحتمال الأكثر حضورا هو أن يكون الكتاب دون زمن بيوس أخ هرماس أي منتصف القرن الثاني وذلك بفضل إشارة الرؤيا إلى البدع والزندقة والتي عرفت انتشارا كبيرا في ذلك الزمن[6].

أما عن كاتب رؤيا الراعي فيظهر من النص الوارد في قانون موراتوري أن اسمه هرماس* وما يؤكد هذا الأمر هو ما جاء في الرؤيا الثانية: "أما أنت يا هرماس فلا تحقدن على أولادك ولا تطرد شقيقتك وهكذا يتنقون من خطاياهم السابقة ويتثقفون

---

(1) « That it was written quite recently, in our own time in the city of Rome, by Hermas, while his brother Pius was sitting on the throne of the church of the city of Rome."(Kirsopp Lake; The Apostolic Fathers With An English Translation: The Shepherd Of Hermas, The Martyrdom Of Polycarp, The Epistles To Diognetus; ed. William Heinemann; London; 1917; P: 3.)

(2) Carolyn Osiek; The Shepherd of Hermas: A Commentary; ed. Helmut Koester; Minneapolis: Fortress; 1999; P: 20).

(3) The Apostolic Fathers With An English Translation; P: 3.

(4) الرؤيا الثانية: 3/4. (النصوص مأخوذة من : الآباء الرسوليون)

(5) تاريخ الفكر المسيحي، ص: 82.

(6) Brian Ephrem Fitzgerald; The Shepherd of Hermas ; St. Philip's Antiochian Orthodox Church, Souderton,PA; 2005;P: 2.(http://www.google.fr/url?sa=t&rct=j&q).

* يعتبر بعض الدارسين أن الكاتب هو هرماس الذي يرسل إليه الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية سلاما مسيحيا حيث جاء فيها:"سَلِّمُوا عَلَى أَسِينْكِرِيتُسَ، فِلِيغُونَ، هَرْمَاسَ، بَتْرُوبَاسَ، وَهَرْمِيسَ، وَعَلَى الإِخْوَةِ الَّذِينَ مَعَهُمْ."الرسالة إلى أهل رومية: 14/16

ثقافة عادلة إذا أنت لم تحقد عليهم... إنك يا هرماس قد عاينت أحزانا عائلية بسبب تجاوزك بيتك الذي أهملته وبسبب انغماسك الكلي في أعمالك الشريرة"[1].

ونستشف من خلال الرؤيا أن هرماس كان عبدا باعه سيده إلى امرأة في روما تدعى "رودى" فاعتبرها في بادئ الأمر أختا له ثم نظر إلى جمالها فأراد أن تكون له زوجة[2]، وقد تزوج ورزق أولادا لم يهتم بتربيتهم جيدا فحادوا عن طريق الصواب[3]، كان فلاحا[4]، عفيفا بعيدا عن الشهوات[5].

أما عن محتوى "الراعي" فنلاحظ أنه يضم خمس رؤى واثنتي عشرة وصية وعشرة أمثلة؛ فالرؤى الأربعة الأولى كشفت معناها امرأة مسنة ترمز إلى الكنيسة والتي طلبت منه الحرص على التوبة وأن يدعو إلى ذلك ما استطاع كلا من أهل بيته والمسيحيين جميعا دون تفريق، والوصية الخامسة كشف معناها ملاك التوبة الذي ظهر على شكل راع. أما الوصايا والأمثال الخمسة الأولى فتحتوي على الأخلاق التي يجب على الفرد والجماعة الامتثال لها، وهي إعادة للوصايا العشر لكن بصيغة مطولة في حين حثت بقية الأمثال على التوبة كطريق إلى الخلاص إلى جانب الأعمال الصالحة كالاستشهاد والصيام.

ومن القضايا التي تثير النقاش في رؤيا الراعي هو الخلط بين الروح القدس وبين "ابن الله" حيث جاء في المثل التاسع: "بعد أن كتبت وصايا وأمثال الراعي جاء ملاك التوبة وقال لي: أريد أن أريك كل ما أراك الروح القدس الذي خاطبك تحت شكل الكنيسة هذا الروح هو ابن الله."[6]، كما أثار كتاب "الراعي" موضوع التوبة

---

(1) الرؤيا الثانية: 1/3.

(2)-" لقد باعني من رباني إلى سيدة من رومية تدعى روذى وبعد سنوات خبرتها وأخذت أحبها كأخت، كان قد مضى بعض الوقت على ذلك عندما رأيتها تستحم في نهر التيبر وقد مددت لها يدي وأعنتها على الخروج من النهر وأمام جمالها طرق قلبي خاطر وقلت في نفسي لو كانت عندي امرأة لها هذا الجمال وهذا البهاء لكنت من المحظوظين جدا هذا الخاطر البسيط مر بذهني لا أكثر ولا أقل.(الرؤيا الأولى: 1/1-2).

(3) " إن الله مغتاظ منك من أجل أولادك لا من أجل ذلك، يريد منك أن تعيد أولادك إلى طريق الخير لأنهم أخطؤوا إلى المخلص وإليكم أنتم أقاربهم إن محبتك هي التي منعتك من نصح أهل بيتك فتركتهم يسقطون في فساد عظيم من هنا جاء غضب الله." (الرؤيا الأولى: 1/3.)

(4) "فظهرت لي المرأة وقالت لي: ما دامت لك هذه الرغبة الشديدة وما دامت حاجتك تلح عليك لتعرف كل شيء فهلم إلى الحقل حيث تزرع أصناف الحبوب فأظهر لك عند الساعة الخامسة وسأوريك ما أنت بحاجة إلى رؤيته." (رؤيا3: 2/1).

(5) " إن تفكيرا كهذا يمر بنفس صارمة مجربة هو تفكير شرير يبعث على الدهشة خصوصا إذا اشتهى العمل الشرير إنسان كهرماس العفيف البعيد عن كل الشهوات المليء بالبساطة المتناهية والبراءة العظيمة." (رؤيا1: 2/ 4.)

(6) المثل التاسع: 1/1.

هل هي مرة واحدة في العمر بعد التعميد أم هي مرات متعددة أو بمعنى أصح هل هناك توبة أخرى بعد المعمودية الأولى حيث جاء فيه: "قلت: أيمكنني يا سيدي أن أسألك سؤالا آخر؟ قال: قل، قلت: سمعت بعض المعلمين يقولون إنه لا توبة إلا التوبة التي نلناها بعد المعمودية حيث نلنا مغفرة الخطايا. قال: صحيح ما سمعت وهذه هي الحقيقة بعينها، لا يجوز لمن غفر له أن يخطئ، عليه أن يبقى في النقاوة"[1].

وهذا القول يجرنا إلى الحديث عن تاريخ التوبة في الكنيسة الأولى حيث "يظهر أنه حتى القرن الخامس كانت تمارس التوبة مرة واحدة وعلانية بعد العماد إذا كانت الخطيئة جسيمة، وكانت العقوبات المفروضة قاسية تثقل يوما بعد يوم كالامتناع عن العلاقات الزوجية طول الحياة، بحيث راح المسيحيون يرجئون توبتهم إلى آخر حياتهم، بل منعت بعض المجامع الغالية منح الغفران للشباب، ولم تتغير العادة إلا ابتداء من القرن الخامس حين شجع المرسلون الإرلنديون في أوروبا في الكنيسة اللاتينية تطوير التوبة الفردية الممكن إعادتها إلى ما لا نهاية له"[2].

ولعل الكنيسة رفضت رؤيا الراعي، بعد أن كانت هذه الرؤيا تحتل مكانة مهمة في نفوس المسيحيين الأوائل كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بسبب "موقف هرماس من المسيح ومن الثالوث الأقدس؛ فهو لا يشير إلى "الكلمة" ولا يذكر الاسم يسوع المسيح بل يدعو السيد ابن الله أو السيد ويقف عند هذا الحد، ومما يدعو إلى الشك في موقفه من المسيح والثالوث الأقدس قول ملاك التوبة له في المثل التاسع "إني أريد أن أبين ما أظهره لك الروح القدس الذي كلمك باسم الكنيسة لأن هذا الروح هو ابن الله". وهكذا يكون الروح القدس هو ابن الله في نظر هرماس وتكون علاقة الله بالروح القدس علاقة الأب بالابن. وما هو أهم من هذا هو ما جاء في المثل الخامس: "إن الله جعل الروح القدس، الموجود قبل كل الدهور الذي خلق كل شيء، يسكن في جسد انتقاه هو نفسه، وهذا الجسد الذي سكن فيه الروح القدس خدم الروح القدس بطهارة وقداسة كاملتين دون أن يلوث الروح بشيء... وهكذا يكون الثالوث في نظر هرماس مؤلفا من الله الأب وشخص إلهي ثان هو الروح القدس الذي هو ابن الله ومن المخلص الذي جعل شريكا للروح القدس جزاء المستحق"[3].

---

(1) الوصية الرابعة: 3/1-2.

(2) تاريخ الفكر المسيحي، ص: 92.

(3) أسد رستم، آباء الكنيسة: الرسوليون والمناضلون، المكتبة البوليسية، لبنان، الطبعة الثانية، 1990، ص: 45-46.